آداب الحوار

من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه

إعداد

عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري

راجعه ودققه

فضيلة الدكتور / عبد الحق بن حمادي الهواس

أستاذ اللغة العربية المشارك بالمعهد العالي للأئمة والخطباء بجامعة طيبة

١٤٣٥هـ

دار الأوراق الثقافية

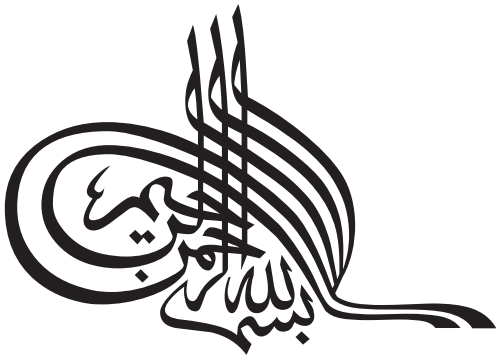
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تمهيد ٥
فأما الآداب لغةً: ٥
والحوار في اللغة: ٦
وفي الاصطلاح: ٦
الفصل الأول: آداب الحوار النفسية عند مصعب بن عمير رضي الله عنه ٧
أولاً: الإخلاص وصدق النيّة. ٨
ثانياً: تهيئة الجو المناسب. ٨
ثالثاً: الإنصاف والعدل. ٩
رابعاً: الحلم والصبر. ١٠
خامساً: العزة والثبات على الحق. ١٠
سادساً: حسن الاستماع. ١١
سابعاً: الجرأة والغضب لنصرة الحق ١١
الفصل الثاني:آداب الحوار العلمية عند مصعب بن عمير رضي الله عنه ١٣
أولاً: العلم ١٣
ثانياً: التدرج والبدء بالأهم ١٤
ثالثاً: الاستناد إلى الدليل ١٥

الموضوع	الصفحة

رابعاً: الوضوح والبيان ١٦
خامساً: الرد على الشبه بما يناسبها ١٦
الفصل الثالث: آداب الحوار اللفظية عند مصعب بن عمير رضي الله عنه ١٨
أولاً: الكلمة الطيبة والعبارة المناسبة ١٩
ثانياً: حسن العتاب. ١٩
ثالثاً: التذكير والوعظ. ٢٠
رابعاً: أدب السؤال. ٢٠
خامساً: الإعراض اللفظي. ٢١
سادساً: البعد عن التعميم. ٢٢
الفصل الرابع: الآثار التربوية للحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه ٢٣
أولاً: ظهور العلم. ٢٣
ثانياً: تمييز الحق من الباطل. ٢٤
ثالثاً: كف عدوان المبطلين والمعاندين. ٢٤
رابعاً: توحيد الصفوف وجمع الكلمة. ٢٥
خامساً: الثواب والأجر من الله سبحانه. ٢٦
المصادر والمراجع ٢٧

تمهيد

إن حياة الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه مليئةً بالفوائد والدرر، إلا أن هناك أسلوباً تربوياً قد يكون بارزاً في حياته رضي الله عنه، ألا وهو: أسلوب الحوار، ولعل القارئ لسيرته رضي الله عنه يلحظ ذلك؛ لذا رأى المؤلف إيراد آداب الحوار المتمثلة في مصعب بن عمير رضي الله عنه مختصرةً من البحث الذي أشرت إليه في مقدمة كتاب سيرة الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه.

فالحوار من أهم أساليب التربية الإسلامية وأفضلها؛ ذلك لأنه يترك المجال للأطراف المتحاورة لإبداء وجهات النظر وتبادل الآراء وتلاقح الأفكار، مما ينتج عنه تصحيح المفاهيم وحل المشكلات وتجاوز العقبات، ومن ثم تسود المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، ومما يدل على أهميته كثرة استعماله في القرآن الكريم والسنة النبوية، فهو فرصة كبيرة لدعوة الناس إلى الإسلام، بل ويقضي على المشاكل والخلافات العالمية والأسرية، أو يخفف منها.

وقبل الشروع في آداب الحوار عند مصعب بن عمير رضي الله عنه نتطرق إلى مفهوم الآداب والحوار في اللغة والاصطلاح.

فأما الآداب لغةً:

«الأَدَبُ: مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قَامَت بِهِ عمَّا يَشِينُه، وهُوَ: استعمالُ مَايُحْمَدُ قَوْلاً وفِعْلا»[(١)]. وقيل «الأدب: عبارة عن معرفة مايحترز به عن جميع أنواع الخطأ»[(٢)].

---

(١) محمد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ٢/ ٧.

(٢) الجرجاني: كتاب التعريفات، ص١٥.

والمقصود بالآداب: هي السمات التي يلتزم بها المحاور الناجح في أثناء عملية الحوار بأنواعها الثلاثة (العلمية، النفسية، اللفظية) قولاً وعملاً.

والحوار في اللغة:

«الحَوْرُ: الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وإِلى الشَّيْءِ »[١]، وحاورت فلانا محاورة إِذا كلمك فأجبته[٢]. «وتَحاوَرُوا: تَراجَعُوا الكلام بينهمْ»[٣].

وفي الاصطلاح:

هو: الطريقة التي يستعملها المحاور مع الطرف الآخر في موضوع محدد بهدف الوصول إلى الحق من خلال إقناعه وتصحيح خطئه ما أمكن.

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، ٤/ ٢١٧.
(٢) محمد بن الحسن الأزدي: **جمهرة اللغة**، ١/ ٥٢٥.
(٣) الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص٣٨١.

الفصل الأول

آداب الحوار النفسية عند مصعب بن عمير رضي الله عنه

تعتني الآداب النفسية للحوار بكل ما يعطي النفس ارتياحاً وهدوءاً، كتهيئة المكان، واختيار الزمان المناسب، وترفض كل ما يزعج النفس ويؤذيها، كالغضب والتوتر والقلق.

ومن أهم تلك الآداب النفسية في الحوار والتي تمثلت في مصعب بن عمير رضي الله عنه ما يأتي[1]:

أولاً: الإخلاص وصدق النيّة.

ثانياً: تهيئة الجو المناسب.

ثالثاً: الإنصاف والعدل.

رابعاً: الحلم والصبر.

خامساً: العزة والثبات على الحق.

سادساً: حسن الاستماع.

سابعاً: الجرأة والغضب لنصرة الحق.

فهذه الآداب جعلت من مصعب بن عمير رضي الله عنه محاوراً ناجحاً، استطاع من خلالها ضبط مسيرة الحوار وتحقيق الهدف منه، وهذا بيان لها كما يأتي:

---

(١) يحيى بن محمد زمزمي: **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**،ص ١١٦.

أولاً: الإخلاص وصدق النيّة:

ترك مصعب بن عمير رضي الله عنه دين آبائه، وما كان فيه من نعمة ودلال، وتحمّل الأذى والتعذيب؛ كل ذلك من أجل دين الله عز وجل. وقد رأى فيه الرسول ﷺ حبه الصادق لله ورسوله ﷺ، لذا قال عنه ﷺ: «لقد رأيت هذا عند أبويه بمكة يكرمانه وينعمانه، ومافتى من فتيان قريش مثله، ثم خرج من ذلك ابتغاءَ مرضاة الله ونصرة رسوله...»[(١)].

وكذلك لم يشغل بال مصعب بن عمير رضي الله عنه عندما أرسله النبي ﷺ إلى أهل المدينة إلا نشر الإسلام بينهم وتعليمهم، فلم ينظر إلى شيء من زينة الدنيا، ولم يطلب من أحد شيئا، رغم ما كان فيه من فقر وضعف، وهذا كله يدل على إخلاصه وصدق نيته ونزاهة نفسه.

ثانيـاً: تهيئة الجو المناسب:

إن الحوار الناجح يتطلب تهيئته قبل البدء فيه بعدة أمور، تجعل منه حواراً هادفـاً بنّاءً، يؤتي ثماره المرجوة منه، كاختيار المكان والزمان المناسبين، والتعارف بين المتحاورين، والجلوس للحوار.

لذا دخل مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما حائطـاً من حوائط بني ظفر [(٢)]، عند بئر مرق [(٣)]، ومن هنا سيكون الحوار مهيئـاً، لما يحويه

---

(١) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الإيمان، باب ذكر مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه، ٣/ ٧٢٨ ، رقم ٦٦٤٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥ .وحوائط بني ظفر في الحرة الشرقية المعروفة بحرّة واقم (أي شرق المدينة). السمهودي: **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ٣/ ٦٢.

(٣) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ١/ ٤٣٦. وبئر مرق قريبة من دار بني ظفر. السمهودي : **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ٤/ ٢٣.

المكان من خضرة جميلة، ومياه وفيرة، تجلب الهدوء والروائح الزكية.

وعندما أخبر أسعد بن زرارة مصعب بن عمير رضي الله عنهما بقدوم أسيد ابن الحضير رضي الله عنه قال له مصعب رضي الله عنه: «إن يجلس أكلمه»[(١)]، فحرص مصعب بن عمير رضي الله عنه على هذا الأدب النفسي؛ لذلك كرره مرةً ثانية عندما وصل أسيد بن الحضير رضي الله عنه وقد كان في حالة غضب ومتشتّما، فقال له: أو تجلس فتسمع [(٢)]، فأراد من ذلك رضي الله عنه التغيير من حال الغضبان من الوقوف إلى الجلوس، كما أن الوقوف يوحي إلى عدم الرضا بالحوار، ويعطي صاحبه شيئاً من الأنفة والتعالي، فيقوده ذلك إلى رفع الصوت واستعمال بعض الأقوال والأفعال التي تخل بالحوار وتعطل سيره، وأما الجلوس فيعطي النفس شيئاً من الارتياح والاستقرار النفسي.

ثالثاً: الإنصاف والعدل:

إن العدل والإنصاف يعطيان الحوار ثقة ومتانة بين المتحاورين، فمصعب بن عمير رضي الله عنه ضمّن ذلك في حواره مع سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما أقبل عليه، حيث قال له: «أوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت»[(٣)]، رغم أن مصعباً رضي الله عنه كان على الحق بمجيئه بالدين الإسلامي، ولكن أراد أن يبين مدى تمسكه بالعدل ليرضى سعد بن معاذ رضي الله عنه، مع حرصه الشديد على إقناعه بما جاء به.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.
(٢) المصدر السابق، ١/ ٤٣٥.
(٣) المصدر السابق، ١/ ٤٣٥.

رابعاً: الحلم والصبر:

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه حليماً صبوراً، فعندما أقبل عليه أسيد بن حضير رضي الله عنه وقف عليه متشتماً وزاجراً له، وهدده وأمره باعتزال المكان، وما كان من مصعب رضي الله عنه إلا أن تلطف معه وأشار إليه بالجلوس ليسمع منه [(١)]، فما زجره وما انتقم لنفسه ولم يقابله بالمثل، بل أحسن إليه بالكلام الليّن، والمعاملة الحسنة؛ لأنه يعرف أن المقابلة بالمثل سيكون معولاً هداماً لسير عملية الحوار، فيتوقف بذلك الحوار، ويعجز عن تحقيق الهدف المنشود.

خامساً: العزة والثبات على الحق:

لا بد للمؤمن أن يعتز بدين الله ويثبت على الحق في جميع المواطن، ولا يرخص نفسه ولا يذلها، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

فمصعب بن عمير رضي الله عنه أعز نفسه بهذا الدين، وثبت على الحق، فعندما علمت أمه بمقدمه أرسلت إليه وقالت: «ياعاق، أتقدم بلدا أنا فيه لاتبدأ بي؟ فقال: ماكنت لأبدأَ بأحدٍ قبل رسول الله ﷺ. ثم ذهب إلى أمه، فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! قال: أنا على دين رسول الله ﷺ وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله... وجعلت تبكي،فقال مصعب رضي الله عنه: يا أماه إني لكِ ناصحٌ عليك شفيقٌ، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله»[(٣)].

فلم يتوانَ مصعب بن عمير رضي الله عنه ولم يتردد بالبدء برسول الله ﷺ، لأنه يعلم

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٤٣٥.

(٢) سورة المنافقون: آية (٨).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.

أن حق رسول الله ﷺ أعظم من حق أمه فثبت على ذلك، ثم اعتز وافتخر بانتسابه إلى هذا الدين، وأخيراً لم تؤثر فيه عاطفته تجاه أمه عندما بكت، ولم يفكر في التراجع، بل ازداد إصرارا على الثبات والعزة، وأراد من أمه أن تُعِز نفسها وتعلو بذاتها بدخولها الإسلام ولكنها أبت، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

سادسـاً: حسن الاستماع:

إن الفن الحقيقي في الحديث يكمن في حسن الاستماع، فسيجد المحاور قبولاً واحتراماً، وإنصاتاً من مُحاوره إن أوجد ذلك من قبل.

ولقد كان مصعب بن عمير ﷺ بارعاً في حسن الاستماع فقد أنصت لكلام أسيد بن حضير ﷺ وهو واقفٌ عليه ومتشتماً، بل ويبدو أنه رافعٌ لصوته، فما قابل ذلك مصعبٌ ﷺ إلا بحسن استماع وإنصات، وعندما انتهى أسيدٌ ﷺ من كلامه، قال له مصعب ﷺ: «أو تجلس فتسمع»[(١)]، فكأن لسان حاله يقول: فكما أني سمعت كلامك بإنصات فاسمع مني بإنصات كذلك. ومن خبر أمه ﷺ كان في حسن استماع لها، مع أنها كانت تظهر له الكيد والعداوة، بل وأرادت التحريض عليه من قبل قومها لتعذيبه[(٢)]، ومع هذا ما زال في حواره معها بحسن إنصات واستماع؛ لعلها تقتنع بكلامه فتدخل الإسلام.

سابعـاً: الجرأة والغضب لنصرة الحق:

كما أن المحاور لا بد له من الحلم والصبر وعدم الغضب لنفسه، فهو كذلك

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.

لا بد أن تكون عنده جرأة في الحق والغضب له؛ لذا لم يكن من حال مصعب بن عمير رضي الله عنه إلا أن يتجرأ ويغضب لدين الله، فعندما جاء إلى مكة قالت له أمه: «ماشكَرْتَ ما رَتَيْتُكَ[١]، مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب، فقال: أفرُّ بديني إن تفتنوني. فأرادت حبسه، فقال: لئن أنتِ حبستَنِي لأحرصن على قتل من يتعرض لي»[٢]، فقد غضب رضي الله عنه لدين الله حين أرادت أمه حبسه بتحريض قومها عليه، وتجرأ إلى حد القتل لمن أراد أن يتعرض له ويريد صده عن دين الله.

(١) من رَثَى لَهُ إذا رَقّ وتَوَجَّعَ. ابن منظور: **لسان العرب**، ١٤/ ٣٠٩.

(٢) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ٣/ ٨٨.

الفصل الثاني

آداب الحوار العلمية عند مصعب بن عمير رضي الله عنه

إن الآداب العلمية ينبغي أن يتأدب بها كل مسلم في جميع جوانب الحياة، فهي مهمة للعالِم وطالب العلم وللمفكر والكاتب وكذلك المحاور، ومن تلك الآداب العلمية التي اتسمت في كيان مصعب بن عمير رضي الله عنه في حواراته ما يأتي [(١)]:

أولاً: العلم.

ثانياً: التدرج والبدء بالأهم.

ثالثاً: الاستناد إلى الدليل.

رابعاً: الوضوح والبيان.

خامساً: الرد على الشبه بما يناسبها.

وإليك بياناً لهذه الآداب العلمية كما يأتي:

أولاً: العلم:

يشتمل العلم على ثلاثة ركائز مهمة، وهي: العلم الشرعي، والعلم بقضية الحوار، والعلم بالشخص المقابل ومكانته العلمية.

لذا يجد القارئ أن مصعب بن عمير رضي الله عنه كان يحمل معه علماً شرعياً قد نهله من النبي صلى الله عليه وسلم، عندما كان يتردد عليه سراً في دار الأرقم بن

(١) يحيى بن محمد زمزمي: **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص٢٧٦.

أبي الأرقم رضي الله عنه[١]، فعندما أقبل أسيد بن حضير على مصعب بن عمير رضي الله عنهما، أخذ مصعب رضي الله عنه يعلمه الإسلام، ويقرأ عليه القرآن، وكان من نتائج ذلك أن أسلم كل من أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، وبإسلامهما أسلم خلقٌ كثير[٢].

وكذلك عَلِم مصعب بن عمير رضي الله عنه بظروف الطرف الآخر وأحواله، وذلك عندما قال له أسعد بن زرارة رضي الله عنه: «جاءك والله سيّد مَن وراءه مَن قومه إن يتبعك لايتخلّف عنك منهم اثنان»[٣].

ثانيـاً: التدرج والبدء بالأهم:

حرص مصعب بن عمير رضي الله عنه في حواره مع الانصار رضي الله عنهم على أن يبدأ بالأهم، ويتدرج معهم في الدعوة إلى الله، فعندما كان مصعب بن عمير، وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما جالسين جاءهما سعد بن معاذ رضي الله عنه فاستقبله مصعب بن عمير رضي الله عنه ثم «عرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطّهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي ركعتين»[٤]، ولعل مصعب بن عمير رضي الله عنه حين عرْضِه للإسلام بيّن محاسنه ورحمته وعدله، وكذلك حرص على قراءة القرآن فهو أهم ما يُبدأُ به عند الدعوة إلى الله عز وجل، ثم عندما أراد سعد بن معاذ رضي الله عنه الدخول

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١١٧.
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.
(٣) المصدر السابق، ١/ ٤٣٥.
(٤) المصدر السابق، ١/ ٤٣٥.

في الإسلام لم يأمره بالصيام أو الزكاة، بل بدأ بما هو أهم، من خلال التدرج بالاغتسال، فالتطهر، فالشهادة، ثم الصلاة.

وأيضاً في حواره مع أمه، حينما دعاها إلى الإسلام بدأ بدعوتها إلى النطق بالشهادتين فقال لها:«اشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله»[(١)]،فلم يبدأ بفروع الدين، بل حرص على الأصل والأهم.

ثالثاً: الاستناد إلى الدليل:

إن المحاور الناجح مَن ثَبَّتَ كلامه وعلمه وآراءه بالدليل والبرهان، فقد ساق مصعب بن عمير ﷺ في حواره حين عرض الإسلام ودعا إليه دليلاً يدعم العلم والدين الذي أُرسل من أجله، ومن العجيب أنه ﷺ لم يقرأ أي آية، بل اختار ما يناسب الحال، وهذا من ذكائه ﷺ، فعندما جاءه سعد بن معاذ ﷺ قرأ عليه قول الله تعالى:﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾[(٢)]، يقول السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: «هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل مايحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة. ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ هذا المقسم عليه، أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها،وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك، فقال: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان »[(٣)].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.

(٢) سورة الزخرف: آية (١-٣). الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ابتداء أمر الأنصار...، ٦/ ٤١، رقم ٩٨٧٦.

(٣) السعدي: تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٦٢.

رابعـًا: الوضوح والبيان:

لا شك أن مصعب بن عمير رضي الله عنه كان فصيح اللسان، وهذا من طبيعة العرب في ذلك الزمان، وفي بيانه رضي الله عنه كان دقيقـًا في اختيار الدليل، فيتضح لنا من خلال الآية السابقة أن مصعب بن عمير رضي الله عنه قد اختار ذلك الدليل؛لأنه يعرف مدى فصاحة العرب وبلاغتهم،ومدى اهتمامهم باللغة العربية من خلال الرجز والشعر والنثر، فتفتخر به القبائل وتتباهى به؛ لذلك أتى بهذا الدليل بما يناسب أحوالهم؛ وليعطي ما جاء به قوةً ومتانةً.

وقد كان رضي الله عنه يقتصد في كلامه، ولا يطيل إلا للبيان والتوضيح كما فعل مع سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما عرض عليه الإسلام [(١)]، كما أنه لا يجادل ولا يكثر من الحشو في الكلام، فقد قال لسعد رضي الله عنه: «أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره»[(٢)].

خامسـًا: الرد على الشبه بما يناسبها:

لقد كان مصعب بن عمير رضي الله عنه يواجه الشبه بكل قوة، ولم يتوانَ ولم يتردد في الرد عليها، ففي ذلك اليوم الذي رجع فيه إلى مكة ذهب إلى الرسول ﷺ، ثم جاء إلى أمه فقالت له: «إنك لعلى ماأنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! قال: أنا على دين رسول الله ﷺ وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله»[(٣)]،فأرادت أمه من هذه الشبهة أن تُلبِّس على ابنها وتصده عن الدين الإسلامي، فرد مصعبٌ رضي الله عنه

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.

مباشرةً وبكل قوة وثبات، فلم يكتفِ ويقول: أنا على دين رسول الله ﷺ فحسب، بل قال: الإسلام، ثم زاد وقال: الذي رضي الله لنفسه ولرسوله، وهذا من أعظم ما يدل على قوته وجرأته في الرد على الشبه وتفنيدها.

الفصل الثالث

آداب الحوار اللفظية عند مصعب بن عمير رضي الله عنه

إن الآداب اللفظية ينبغي أن تتوافر في المحاور؛ ليضمن سلامة الحوار وسيره باتزان، ويضفي عليه الهدوء والاطمئنان، فيقوده ذلك إلى تحقيق الأهداف بكل يسر وسهولة.

وقد توافرت آداب لفظية في حوارات مصعب بن عمير رضي الله عنه، استطاع من خلالها أن يحقق ما يصبو إليه، وهي كما يأتي [١]:

أولاً: الكلمة الطيبة والعبارة المناسبة .

ثانياً: حسن العتاب.

ثالثاً: التذكير والوعظ.

رابعاً: أدب السؤال.

خامساً: الإعراض اللفظي.

سادساً: البعد عن التعميم [٢].

فهذه الآداب اللفظية لها شأنها ومكانتها في الحوار، فنبيّن كل واحدة منها على حدة، ونشاهد مصعب بن عمير رضي الله عنه أنموذجاً تطبيقياً لها من خلال ما يأتي:

---

(١) يحيى بن محمد زمزمي: **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٤٢٧.

(٢) سعد عبدالله عاشور: **ضوابط الحوار مع الآخر**، ص ١٠١.

أولاً: الكلمة الطيبة والعبارة المناسبة :

إذا تتبع القارئ حوارات مصعب بن عمير رضي الله عنه، يجد حرصه على الكلمة الطيبة، وانتقاء العبارات المناسبة، رغم الذي يلاقيه من فحش القول.فعندما كان في المدينة ومعه أسعد بن زرارة رضي الله عنه، جاءهما أسيد بن حضير رضي الله عنه «فوقف عليهما متشتّما، قال: ماجاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع »[(١)]، فهذا أسيد بن حضير رضي الله عنه، وقف على مصعب بن عمير رضي الله عنه يشتمه ويهدده، فما قابل ذلك مصعبٌ رضي الله عنه إلا بكلمةٍ طيبةٍ وبأسلوبٍ حسنٍ، فطلب منه الجلوس ليسمع منه، وترفع عن الكلام الفاحش؛ لأنه يعلم أنه طريق لقطع الحوار.

ومع أمه لم يسمع منها إلا ألفاظاً سيئةً وأفعالاً مشينة، ولكنه استمر على خلقه الراقي، وطيبة نفسه، فلاطف أمه واختار أفضل العبارات وأحسنها، فكان مما دار بينهما «إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ!...فأرادت حبسه،... فقال مصعب رضي الله عنه: يا أماه إني لكِ ناصحٌ عليك شفيقٌ»[(٢)]، فهذه الكلمة الطيبة والعبارات الرنانة لها وزنها ووقعها في القلب، ولا بد أن يجني مصعبٌ رضي الله عنه من ورائها ثمرة.

ثانياً: حسن العتاب:

فكما يحرص المحاور على الكلمة الطيبة فهو كذلك يستعمل العتاب أحياناً ولا يكثر منه، ويفضل استعمال العتاب في الحوارات الفردية، كأن يكون بين الزوجين أو بين صديقين أو نحوهما، وإلا تحول العتاب إلى توبيخ.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.

فقد استعمل مصعب بن عمير رضي الله عنه العتاب في حواره مع أمه، وإنما كان ذلك بأسلوبٍ لطيف، بعد تهديد أمه له بالسجن والتعذيب، ثم كان ذلك في حوارٍ فردي، إذ قال لها: «لئن أنتِ حبستَنِي لأحرصن على قتل من يتعرض لي، قالت: فاذهب لشأنك»[١]، فهي أرادت حبسه كخطأ تكرر منها سابقـًا، ثم عاتبها بتلك الألفاظ، فاستطاع رضي الله عنه تعديل ذلك الخطأ، فقد تركته أمه ولم تتعرض له.

ثالثـًا: التذكير والوعظ:

كان مصعبٌ رضي الله عنه يهتم بالوعظ والتذكير، ويغتنم الفرص السانحة، والتي يتوقع فيها أن للوعظ أو التذكير أثراً في محاوره، فعندما أرادت أمه صده عن الدين،استعملت معه شتى الوسائل،ولم تستطع إلى ذلك سبيلا، «فجعلت تبكي،فقال مصعب رضي الله عنه: يا أماه إني لكِ ناصحٌ عليك شفيقٌ،فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قالت:والثوَاقِبِ[٢] لاأدخل في دينك فيُزرى برأيي، ويضعَّف عَقلي»[٣]، فبكاء أمه كان مسلكـًا للوعظ والتذكير، فاغتنم ذلك مصعبٌ رضي الله عنه وذَكَّرها بالحق ووعظها بالدخول في الإسلام، وإن لم يصل إلى ما يريد، ولكنه أقام عليها الحجة، وسَلِم مما كانت تريده من سجنٍ وتعذيب.

رابعـًا: أدب السؤال:

يلزم المحاور الناجح التأدب في طرح السؤال، وذلك في اختيار السؤال المناسب في الوقت المناسب، مع مراعاة اختيار الألفاظ الحسنة، ونبرة الصوت

---

(١) المصدر السابق، ٣/ ٨٨.

(٢) الشهب المضيئة. الرازي: مختار الصحاح، ص٤٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.

الهادئة، وتعبيرات الوجه الطلقة، فالتزم مصعب بن عمير رضي الله عنه الأدب في السؤال مع أسيد بن حضير رضي الله عنه، رغم الذي لاقاه من شتم وتهديد، فاختار له من ألطف الأسئلة إذ قال له: «أوَ تجلسُ فتسمعُ؟»[١]، فكان أدباً لطيفاً يطلب منه الجلوس ليسمعه ما يريد، فلم يتمالك أسيد رضي الله عنه أمام هذا الأدب الجم إلا أن استجاب له وجلس ليستمع لما يقوله، مما يبين أهمية هذا الأدب وضرورة الالتزام به في أثناء الحوار.

خامساً: الإعراض اللفظي:

إن الإعراض قد يكون بالجسد أو بالعين أو بالوجه أو باللفظ، ويستعمل المحاور هذا الأدب، حين لا يُجدي الحوار، ولا يُغني العتاب، ويكون ذلك عند كثرة أخطاء الخصم وإصراره، أو ارتكابه خطأً فادحاً قد يتضرر به المحاور.

ومصعب بن عمير رضي الله عنه أعرض عن أخيه أبي عزيز، وذلك مقابل تأييده ووقوفه مع أمه عليه، فعندما وقعت غزوة بدر وانتصر المسلمون، وكان من بين الأسرى «أبو عزيز بن عمير، أسره أبو اليسر، ثم أُقْتُرِعَ عليه فصار لمُحرِزِ بن نضلة، وأبو عزيز أخو مصعب بن عمير لأمه وأبيه. فقال مصعب لمُحْرِزٍ: أُشدُدْ يديك به،فإن له أُمّا بمكة كثيرة المال. فقال له أبو عزيز: هذه وصاتُك بي يا أخي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك ! فبَعَثَتْ أُمّهُ فيه بأربعةِ آلافٍ،وذلك بعد أن سألت أغلى ماتُفَادِي به قريش،فقيل لها أربعةُ آلافٍ» [٢]، فكان أبو عزيز يكلم أخاه مصعباً رضي الله عنه فلا يجيبه، فيعرض عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه لفظاً ويجعل كلامه إلى محرزٍ رضي الله عنه، وما ذاك إلا من شنيع ما لاقاه مصعبٌ رضي الله عنه منه، ولما يعرف من عداوة أخيه له.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.

(٢) الواقدي: المغازي، ١/ ١٤٤.

سادساً: البعد عن التعميم:

لقد كان مصعب بن عمير رضي الله عنه في حواره مع أمه، ورغم محاولاته الجادة في إسلامها، إلا أنها أبت، بل أرادت حبسه والتضييق عليه، فقال رضي الله عنه:«لئن أنتِ حبستِني لأحرصن على قتل من يتعرض لي»[١]، فلم يعمم رضي الله عنه على قومه كلهم، بل حدد في ذلك من يتعرض له، إذ إن من الإنصاف أن تكون العقوبة والجزاء على المخطئ، كما أن للمحسن الإحسان، ومن التعدي والظلم تعميم الخطأ، وإنزاله على أناس لم يكن لهم في ذلك مشاركة ولا تأييد، فلعل أمه اقتنعت بحسن أدب ابنها وإنصافه في حواره؛ لذلك قالت له: «فاذهب لشأنك»[٢]، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ «إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها»[٣]،فهذا من تمام العدل الذي أمر الله به وحث عليه، إذ كيف يخطئ فرد من الأفراد فيؤاخذ بخطئه مجتمع كامل.

(١) ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ٣/ ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ٣/ ٨٨.

(٣) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، كتاب الآداب، باب ما كره من الشعِر، ٢/ ١٢٣٧، رقم ٣٧٦١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ٢/ ٣٩٠، رقم ٧٦٣.

الفصل الرابع

الآثار التربوية للحوار
من خلال سيرة مصعب بن عمير ﷺ

في حياة مصعب بن عمير ﷺ، ظهرت آثار تربويةٌ كانت نتيجةً لتلك الجهود التي قام بها، وذلك من خلال حواراته المختلفة والتي كانت ناجحة ومثمرة، وما ذاك إلا لالتزامه وإتقانه لآداب الحوار المختلفة، فهي كما يأتي [(١)]:

أولاً: ظهور العلم.

ثانياً: تمييز الحق من الباطل.

ثالثاً: كف عدوان المبطلين والمعاندين.

رابعاً: توحيد الصفوف وجمع الكلمة.

خامساً: الثواب والأجر من الله سبحانه.

فهذه من الآثار التي يجنيها المحاور الناجح، وقد ظفر بها مصعب بن عمير ﷺ في حياته، وهي كما يأتي:

أولاً: ظهور العلم:

في حوارات مصعب بن عمير ﷺ ظهر العلم في المدينة حتى دخل أكثر دُورها، فعندما نجح في حواره مع أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ ﷺ وأسلما،

---

(١) ينظر: الموصلي، فتحي بن عبدالله: **فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية**، الدار الأثرية، عمّان، ط١، ١٤٢٨ هـ، ص٢٠٤-٢٠٨.

بدأوا في إظهار هذا الدين ونشره في المدينة وتعليم الناس أمور دينهم،«قال ابن إسحاق: ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات...»[١]، فهذا أثرٌ عظيم في ظهور العلم، بل وتجد في ذلك سرعةً وإقبالاً من الناس في حين ظهور الحق، فعندما رجع مصعب بن عمير ﷺ إلى مكة ذهب إلى النبي ﷺ وأخبره بأمر الأنصار وسرعتهم في دخول الإسلام فسُرّ رسول الله ﷺ بكل ما أخبره[٢].

ثانيًا: تمييز الحق من الباطل:

استطاع مصعب بن عمير ﷺ أن يميّز بنفسه الحق من الباطل، فترك دين آبائه ودخل الدين الإسلامي معلناً إسلامه، ثم في حواراته المنهجية استطاع أن يبيِّن للطرف الآخر الحق، وأن يجعله يميز الحق من الباطل الذي كان عليه، فعندما جاءه أسيد بن حضير ﷺ أخذ يكلمه عن الإسلام، ويعلمه شيئًا من تعاليمه السمحة، وقرأ عليه من القرآن، فعرف بذلك أسيد بن حضير ﷺ الحق، فأشرق وجهه وتهلل ودخل الإسلام، وكذا فعل مصعب بن عمير ﷺ مع سعد بن معاذ ﷺ فأسلم[٣]، فكان لمعرفتهم الحق أثرٌ كبيرٌ في دحض الباطل وأهله.

ثالثًا: كف عدوان المبطلين والمعاندين:

في حياة مصعب بن عمير ﷺ وعندما أسلم لاقى ألوانًا من التعذيب من

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.

أمه وقومه [١]، حتى هاجر إلى الحبشة [٢]. فعندما جاء من المدينة إلى مكة أخبر رسول الله ﷺ بما جرى مع الأنصار [٣]، ثم ذهب إلى أمه فدار بينهما حوارٌ استطاع فيه ﷺ أن يكف عدوان أمه وقومه، فكان مما دار بينهما أن قالت له أمه: «إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! قال: أنا على دين رسول الله ﷺ وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله. قالت: ماشكَرْتَ مارَثَيْتُكَ [٤]، مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب، فقال: أفرُّ بديني إن تفتنوني. فأرادت حبسه، فقال: لئن أنتِ حبستَنِي لأحرصن على قتل من يتعرض لي،قالت:فاذهب لشأنك،وجعلت تبكي» [٥]، فكانت الثقة والجرأة والأسلوب الحكيم سلاحًا استعمله مصعب بن عمير ﷺ لكف الشر الذي كاد أن ينزل به.

رابعًا: توحيد الصفوف وجمع الكلمة:

ومما يعين على ذلك، الحوار المنهجي الذي يجعل من المبادئ الإسلامية منهجيته، وآدابه مسلكًا له إلى تحقيق الهدف؛ لذلك أثمرت حوارات مصعب بن عمير ﷺ مع الأنصار، فقد توحدت صفوفهم واجتمعت كلمتهم، بعد أن كانت الحروب والصراعات قائمة بين الأوس والخزرج، فقد دخلوا الإسلام وأصبحوا إخوةً مجتمعين [٦]، وكان مصعب بن عمير ﷺ يصلي بهم، وكان يسمى المقرئ

(١) السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ٤/ ٥٢.
(٢) ابن اسحاق: سيرة ابن اسحاق، ص ١٧٤.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.
(٤) من رَثَى لَهُ إذا رَقّ وتَوَجَّعَ. ابن منظور: لسان العرب، ١٤/ ٣٠٩.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٨.
(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.

بالمدينة [١]، وبذلك أصبح الأنصار من صحابة رسول الله ﷺ،وكانوا منطلقاً لغزوات الرسول ﷺ، فشع نور الإسلام من المدينة حتى بلغ أقاصي الأرض، كل ذلك كان توفيقاً من الله وحده، ثم جهود مصعب بن عمير ﷺ في توحيد صفوفهم واجتماع كلمتهم من خلال حواراته البناءة والهادفة.

خامساً: الثواب والأجر من الله سبحانه:

من أعظم الأعمال التي ينال بها المسلم الثواب، الدعوة إلى الله؛ لأن من دل على خير كان له أجر من عمل به، قال النبي ﷺ: «إنَّ الدال على الخير كفاعله»[٢]، ومن الدعوة إلى الله أن يستعمل الداعية أسلوب الحوار؛ لأنه من أقوى الأساليب في استمرار الناس على الخير، فإذا اقتنع الطرف الآخر بما تدعو إليه، كان تمسكه به متين، بل سيدعو إلى الحق الذي أتيت به، وهذا ما حصل مع مصعب بن عمير ﷺ، فقد أسلم على يده خلق كثير من صحابة رسول الله ﷺ، ففي حواره مع الأنصار أسلم أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ ﷺ، وبإسلامهما أخذوا جميعاً يدعون إلى الله وينشرون الإسلام في المدينة حتى لا يكاد يخلو دار من مسلم [٣].

هذا ما يسر الله عليه وأعان، فما كان فيه من نقص وخطأ فمن نفسي، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده.

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) المصدر السابق، ١/ ٤٣٤.

(٢) الترمذي: سنن الترمذي،كتاب أبواب العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، ٥/ ٤١، رقم ٢٦٧٠، قال الألباني: حسن صحيح.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٥.

المصادر والمراجع

١ – الأزدي، محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**، المحقق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٢ – الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٣ – الترمذي، محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، تحقيق و تعليق / أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، إبراهيم عطوة، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٤ – الجرجاني، علي بن محمد: **كتاب التعريفات**، المحقق/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٥ – الحسيني، محمد بن محمد: **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق/ مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٦ – الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح**،المحقق/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٧ – زمزمي، يحيى بن محمد: **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط١،١٤١٤هـ.

٨ – السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩ – السمهودي، علي بن عبدالله : **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠ – السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله: **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق / عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١١ – عاشور، سعد عبدالله: **ضوابط الحوار مع الآخر**، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين، سلسلة الدراسات الإسلامية، المجلد السادس عشر، العدد الأول، يناير ٢٠٠٨، ص ٩٦.

١٢ – الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٨، ١٤٢٦هـ.

١٣ – ابن ماجه، محمد بن يزيد: **سنن ابن ماجه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٤ – المطلبي، محمد بن اسحاق بن يسار: **سيرة ابن اسحاق**، تحقيق / سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ .

١٥ – المعافري، عبدالملك بن هشام: **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق/ مصطفى السقا وآخران، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.

١٦ – ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٧ – الموصلي، فتحي بن عبدالله: **فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية**، الدار الأثرية، عمّان، ط١، ١٤٢٨ هـ.

١٨ – النيسابوري، الحاكم محمد بن عبدالله: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٩ – الهاشمي، محمد بن سعد بن منيع: **الطبقات الكبرى**، تحقيق / محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٠ – الهيثمي، أبو الحسن نور الدين: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د. ط، ١٤١٤هـ.

٢١ – الواقدي، محمد بن عمر: **المغازي**، تحقيق/ مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.